النشأة الأولى

أو

الحظ العاثر

مأساة اجتماعية أدبية أخلاقية حدثت ما بين مصر والسودان

بقلم

عبد المجيد فتحي محمود

طالب آداب

(الطبعة الأولى)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

obeikandl.com

الإهداء

الى أبي وعلة وجودي في الحياة أهدي اول قطرة من دموع حياتي اسطرها من صبابات قلبي صفحة على ما قاسيته في هذه الدار الفانية وما ادركته معاناة في عهد صباي الذهبي صفحة من صفاء الخيال قوة ومن جمال الطبيعة سحرا ومن الناس وفاء ونورا؟

فتى

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

طالما قرأت روايات دبجتها يراع كبار المؤلفين وبينما كنت امتع النظر في بعض كتب ادبية أغوص وراء لآلئها لأنتضيد شواردها واصلح الجنان بفصاحتها، تاقت نفسي أن احذو حذوهم واقتفي أثرهم ولكني لم أجد في نفسي الكفاية فكدت أن أفشل وتذهب آمالي أدراج الرياح الا أني تشجعت بدافع الميل وشدة الرغبة فأطلقت العنان لقلمي ينمي حياة شاب لم يكن ذو حظوفير بل كان منكود الطالع نشأ في احدى الاسرات المصرية في أوائل القرن العشرين بيد أنه صبر على بلوى الدهر وتجرع كأس هوانه مليا، وسترى كيف تحل المتاعب بحياتنا المنزلية، ولقد أعوزتني الحاجة في نشرها الى الزمن والمال الكافي لاخراج ثمرة الفؤاد وجارب الايام، وعليه أتقدم بأول العبرات التي سطرها قلمي راجيا أن تحوز القبول لدي حضرات القراء وأدعو الحق سبحانه وتعالى أن يلهم الجميع السداد والصواب لخير البلاد والسلام ؎

عبد المجيد فتحي محمود

الفصل الأول

النشأة

هناك فى الحدائق الغناء بين الرياحين الناضرة والزهور المختلفه الأنواع والازدهرة الألوان حيث الهناء والسرور وتعاطى كؤوس السعادة تحت أشعه القمر الوضاء مايسبب انشراح الصدور وملأ النفوس غبطة ، فى حى من أحياء مدينة القاهرة الزهراء عاصمة القطر المصرى المحبوب ذو الأرض الخصبة والموارد الغنية التى تفيض بالخيرات الوافرة والنعم الجزيلة حيث شيدت القصور الأنيقة وفى هذه القصور التى ليست بالعظيمة ولا الحقيرة نشأ شاب دمث الأخلاق كريم الأصل يدين بالدين الاسلامى الحنيف بين قوم سذج لا يعرفون سوى الائتلاف وسلامه الضمى والترابط العائلى المتين .

تربى هذا الشاب تربية علمية بحسب ما اقتضته الحال حتى تأهل لوظيفة من وظائف الحكومة المصرية باحدى الوزارات اقترن بشابة ريفية توثقت عرى الصداقة بين اسرتيهما فتمت سعادة الزوجين وجدا فى السير فى طريق الحصول على رزقهما فى وفاق تام لاتشوبه شائبة كل يعين الآخر فكانا يتنقلان بين القطرين

الذين حسدتهما الدول الاجنبية على ماوهبهما الله من ثراء الأديم وأهمية فى الموقع الجغرافى وكثيرا ماتطاولت اليهما أيدى المغيرين والمستعمرين من قديم الأزل ، اذ يخترقهما نهر واحد من أعظم أنهار العالم وهو نهر النيل السعيد الذى طبق اسمه الآفاق ورمزت له تلك البلاد وهى مصر والسودان بأثمن رمز فمثلا بالقلب النابض وهما بالجسد الهامد الذى لايحيا الا بدقاته . كانت نتيجة اخلاص هذين الزوجين والوفاق بينهما والسعادة التى كانت ترفرف عليهما وتظلهما اينما حلا أن نشأ فؤاد . ولد هذا الطفل الوديع باحدى ضواحى مدينة الخرطوم التى بها مقر الحكومة السودانية وواقعة على ضفاف النيل الأبيض عند التقائه بالنيل الأزرق الذى يجلب اليه من الخضيرات ماتحيا به الأرض ويقوى النبات ، كان ذلك فى أوائل القرن العشرين عندما كانت محط الجيشين المصرى والانجليزى للقيام بأمر ذلك القطر الذى لم تصل اليه الحضارة بعد بأجلى معانيها ، مضت أيام الرضاعة الذهبية التى لاينسى الانسان عن ذكراها شىء كأنها أحلام لذيذة ظهر النهار فأباد معالمها وتلاشت ذكراها .

الفصل الثاني

عهد الطفولة

يجتاز الانسان حياة الطفولة ذلك العمر الذي تشبه ذكراه ذكرى حلم لذيذ يفيض فيه نهر السعاده والهناء ثم يستيقظ منه فجأة فيرى أنوار الحياة الجديدة وهي تشع عليه بضيائها اللامعة والمنيرة المعتمه في تلك الساعه لا نعلم أين أصبحنا ومن نكون بعد تلك الحياة الصافية حيث لا ألم ولا حزن !؟

حياة كانت أبدية لا نعرف لها نهاية . . .

ماذا يعكر على الطفل حياته وهي حياة مملوءة سذاجة وطهارة ؟

أي ألم يشعر به وأي شاغل يهمه ؟

إنها حياة تسري فيها روح العطف من تلك القلوب الصغيرة النقية التي هي كقلوب الطيور المغرده والعصافير المزقزقه !

قلوب أطفال تفيض حنانا خالصا بعضها نحو البعض الآخر !

حياه تتوجها الوداعة وخفة الروح . . حقيقة إنها جديرة بأن تكون خالدة ترفرف عليها أجنحة السلام والطمأنينة والحنان الأبوي ! ! !

إني أرى أني قد نسيت كل شيء فلقد تشعع من خيالي ذكرى

ماضى ذلك العهد السعيد والحياة الهنيئة فأمست سطورها خفيفة متسارعة نحو الزوال فهى أشبه بالسطور التى تخطها على صفحات الماء أو على وجه الرمال لاتزال تمحوها الرياح شيئا فشيئا حتى تتلاشى كذلك كانت سطور ذاكرتى . . .

كان بالأمس زهرة تملأ بأريجها المطر ارجاء البيت وكان ملاكا يرفرف بين أهليه فلو انتزع ملاك الموت هذا الملاك الطاهر ولو اذبلت تلك الزهرة سموم الهوجاء لوجدت ايها الراحل الصغير فى رمسك راحة لاتراها فى اكناف الحياة ، وإن فى الدنيا جحيما ماخلقت له ، فيامملاك الطهر عد للسماء رفرف فى عالم النهايه ، ثم هلم عينيك فى حجرتك الضيقة ودع العيون ساهرة عليك ودع الدموع تبل مثواك الاخير . .

ثم فا الحياة الا ثوان عذاب تعقبها سنين العذاب ! ! !

على أن فؤاد مازال يذكر تلك السماء الصافية والطبيعة الزاهيه التى طالما انتعش برؤيتها وكيف كان يمضي وقته لهوا ولعبا ، سرورا وطربا مترنما بذلك السجع الموسيقى اللذيذ مخاطبا أعز الناس وأحبهم اليه . . .

أمي أمي العزيزه ! ! !

فتضمه إلى نهديها وتقبله فتذيب روحها على شفتيه . .

كل ذلك ما يمكن أن يتذكره الانسان من عهد طفولته وبعض ذكريات بسيطة لا تفارق مخيلته تكاد تمحوها توالى الأيام ومرور الأعوام عدا وجوه رفاقه العديدين وأفراد أسرته المحبوبة ثم حدائق وأزهار وجبال وأنهار وسماء صافية وشمس ساطعة وقاطرات حديدية وسفن نيلية بخارية كانت تقلهم مابين مصر والخرطوم حاضر السودان

الفصل الثالث

النكبـــة

يالالأسف قضي أن يصبح ماكان يعده مبعث سعادته ومنبع الرجاء في مستقبله علة آلامه وتعاسته ومذهب الراحة والطمأنينة عن نفسه !!!

مسكين فؤاد !!!!

اليس غريبا أن الشعاع الوحيد من النور الذى كان يصل الى قلبك ويطيل من أمدك بها وأملك فيها والذى كان يغمرك باللذة والنعيم يعود عذابا مقيما لا ينقضى ولا يخف وشبحا مروعا لا يختفى ولا يغيب ؟؟؟

فاحتاطت بك الكآبة من كل ناحية وفى كل حين . . . ناهز

التاسعة من عمره وكان له شقيقات وشقيق رضيع لا يتجاوز عاما ونصف يرفرف عليهم جميعا حنان الابوان وحبهما الطاهر . . .

لكن الدهر لا ينفل ولا ينام بل هو ساهر وخائن جبار يأبى أن يتم سعادته على مخلوق فخطر فاه والتهم مصدر الشفقة والرحمة التي كانت ترعى فؤاد واخوته !!!

تشبث المنية أظافرها بأمهم !!:

فتركت فلذات كبدها يستقبلون ذلك الدهر الغدار ملبية نداء رب السموات والارض فيالها من مصيبة شعواء !!!؟

لم تعد تلك النغمة العذبة الصادقة التي وهبها الله لكل طفل تتردد بين شفاههم :

أماه . . . أماه . . .

أين أنت يا أماه ؟ ؟ ؟

فلا يسمع سوى صدى صوته

لم يدر أحد هؤلاء الاطفال المنكوبين أن أمهم قد ماتت وفاضت روحها الطاهرة الى بارئها بل ظنوا أنها تغط في نوم لذيذ غير عالمين أنه نوم ابدي !!!

آه لقد انتصر الدهر عليهم بعصائبه فسلبهم سعادتهم وهنائهم فهضهم الدهر بنابه الباتر فأخذ اسهم الحنون . . .

يا الاهى ! انها مصيبة دهماء . . .

ما هذا ؟

هل العالم بؤس فى بؤس ؟ ؟ ؟

هل العالم شقاء فى شقاء ؟ ؟ ؟

أليس فى الدنيا سرور وأبتهاج ؟ ؟ ؟

اليس فى الدنيا ينابيع السعاده والهناء ؟ ؟ ؟

كلا ! ! !

اذن فبئست الحياة و بئساك أيها العالم الذى ترفرف عليه أعلام البؤس والشقاء والحزن والفناء ! ! !

فليتدبر الامر المولى عز وجل فهو المخلف الواسع والعوض الكريم وهو وحده الحى الباقى الذى لا يموت ولا يتغير . . .

أصبح فؤاد واخوته عديمى الام لا نصير لهم سوى أبيهم طالما أطال النظر لصغاره المساكين فتتحرك بين جنبيه تلك العاطفة الأبوية فيطوقهم بذراعيه مستقبلا ومكافحا تقلبات الوقت ! !

كان هذا اليوم المشؤم أحد الايام التى مرت على فؤاد فى عاصمة السودان وهو لا يذكره الا خيالا . . .

استعان أخيرا والد فؤاد باحدى الجوارى السودانيات كأجيره لتخفف ما حل به واخوته الذين من بينهم طفلا تركته الفقيدة بين

الرضاعة والقطامة .

رعى الله تلك المربية وكافأها بأحسن الجزاء وتغمدها برحمته الواسعة اذ أدت مهمتها على ما يرام فقد كانت لها بشرة سوداء كما لها قلبا رحيما ناصع البياض ! !

فى تلك المدة وذلك العام المشهود عام الثورات والاضطرابات وفعل المكائد السياسية والمناداة بحرية البلاد والقيام فى وجه القوة الاستعمارية الآثمة انقطعت المواصلات بين القطرين ! !

ذلك العام الذى لا ينساه الكهل العتيق ولا الشاب السليم ولا الطفل الصغير وهو عام ١٩١٩ ميلادية .

اعتزم والد فؤاد العودة الى مصر ذلك الوطن الغالى ، وكيف يعود والطرق معرقلة والخطوط الحديدية محطمة والشعب فى هياج ومضرب عن الاعمال رافعا صوته الى عنان السماء ليقرع آذان الدول المجتمعة تقرر مصير البلاد عقب الحرب العظمى فينال حريته ويزول شبح الاحتلال المفزع . . .

لم يكن بد من أن يقلعوا على ظهر سفينة تجارية اخترقت النيل السعيد أياما وأسابيع وكانت ترسو عند كل بلد لتتبادل المتاجر وفى النهاية بعد مضي شهر تقريبا فى عرض النيل رست السفينة عند مدينة القاهرة عينساء مصر القديمة فوطئوا ارض الوطن المفدى بسلامة الله .

الفصل السابع

المسامرة

عاد فؤاد مع اخوته وابيهم والمربية التي ابت ان تفارقهم وغادرت بلدها من أجلهم لتدخل السرور على قلوبهم الصغيرة المكلومة بكل الوسائل المسلية فكانت تقص عليهم قصصا ونوادر عدة كان يتلهف الصغار الى سماعها ويذكر من بينها قصة سودانية طالما تتلخص في أن فتى من قبيلة سودانية تقيم على ضفاف النيل الازرق افتتن بغادة هيفاء القد دعجاء العينين اسمها تاجوج وبعد أخذ ورد كثير أعلن خطبة لها وتم الزواج .

ظلت تاجوج على عادة القوم لا تكلم بعلها أياما طوالا اللهم الا ايماء أو ابتساما وكان كلما اشتد به الوجد ينفحها بشيء من المال فتجيبه بعد التي واللتيا بكلمة لا تسمن ولا تغني من جوع ! !

واذا كان النساء الأعراب في السودان يستمتعن في بيوت ازواجهن من ضروب الترفيه والتدليل فان تاجوج وهي أجمل فتيات السودان والتي هام بها زوجها وتوله بحبها حتى لم يكن يقوى على فراقها ساعة !!

فلما تقادم العهد ومضت أيام التكلف مازال الزوج مغتبطا

بمائتنه فقام بنفسه فى ساعة من ساعات وجده أن يشبع فهم شوقه ويقضى حاجة شغفه ولست أدرى ماذا أراد بعمله ولعله ود أن يدلها على أنها اصبحت ملك يمينه ويجب أن ترضيه كيفما شاء ولو كان مايبغيه قهرا لارادتها واذلالا لكبريائها .

فطلب اليها أن تخطر أمامه متجردة من ثيابها فبهتت لهذا الطلب الغريب وراجعته فى الأمر ولكنه أصر على إجابة طلبه فلم تجد بدا من النزول على إرادته ولكنها اشترطت عليه قبل ذلك أن ينفذ ماتطلبه اليه بدورها دون أدنى رد فوعدها بذلك وأقسم ألا يحنث بعهده فتجردت عن ملابسها وخطرت أمامه رائحة غادية ساعة طويلة وهو معجب فخور لا يعلم مايخبئه له القدر يحدث نفسه عن سعادته بتلك اللؤلؤة التي أتيح له أن ينتزعها من اصدافها ولا يدرى أى سهام يريشها حظه العاثر وطالعه المنكود وأخير أمرها بالكف عن السير قائلا :

والآن ماذا تطلبين أيتها المعبودة ، أتريدين قبضة من أشعة الشمس أم جلبابا من نور القمر أم عقدا من النجوم ؟

قالت : لا أبغى شيئا من هذا وكل ما أطلبه اليك انما هو أن تطلقنى فى الحال !

فكاد يصعق من هول ماسمع وبكى بين يديها بكاء مرا وتوسل

اليها أن تعدل عن رأيها ولم يدع بابا من انواع الندم ولكنها لم تزدعلى استعجازه ماوعدها وتذكيره بما ينتظره من العار والسقوط أن حنث ولم يف بوعده فما وسعه ازاء ذلك الا تطليقها وهو أحزن المحزونين نفسا وأشقى الأولين والآخرين فؤادا

غشى ليل الأسى والبؤس وامسى يضرب فى كل فج لا يكاد يستقر على حال أو يهجع فى مضجع أو يهنأ بمأكل أو مشرب فما رآه الناس بعد ذلك الا رأوا مأساته شاكيا سوء مآله باكيا هناءه الذاهب حتى شبهه القوم بمجنون ليلى ومازالوا يتناشدون من طريف اشعاره قوله :-

انا الجنب التعيس سويت بايدى
فى كلمة مزاح قليت غميضي
خواطر أم قبيل ملح الرشيدى
تاجوج ما اتلقت ياخملة زيدى

وقوله :-

أمسى الليل وانجم الشمل
وتلمم الحيوان حتى النمل

الجنب - التعيس . سويت بايدى - فعلت . الغميض - النوم الخواطر - الثنايا . ام قبيل - الحسنات الجميلة . ما اتلقت - ذهبت الخملة - الهم والحزن

واقد رقاد الدياك فوق الجبل

يوما بلا تاجوج ما يتحمل

وناه أخيرا بحمل النكبة بعد ماذوى غصن آماله وطال سهاده فافترست الاحزان حشاشة نفسه وقطعت الآلام نياط قلبه ومزقت الهموم كبده وضغطت العلل على فؤاده وهو لا ينى لحظة عن ذكر تاجوج وأيامها ، فتشاور القوم رأفة به وأجمعوا أمرهم على أن يستقدموا تاجوج عسى أن تستأخر أجله أو تمسك عليه رمقه وذهب اليها جماعة منهم فأخبروها بما صار اليه زوجها السابق فمز عليها المصاب ولم تر بدا من زيارته .

وما كاد الصبح ينشر اضواءه حتى كانت ببابه واجلست بجانب المنجريب (سرير مشدود بالحبال) الذى استلقى عليه . .

وما أن رأته على هذا الحال من الضعف وقد سقمه الوجد واضناه الغرام فقالت . . .

إلى هذا صرت ياعشاى (حبيبى) وأنا لا أدرى ؟

فانتبه البئيس من غفوته وما لبث أن رآها حتى اغمى عليه فطفقت تبكيه الى أن أفاق فخاطبها قائلا :

أتابى ياأم قبيل ألفى عباده مسوحك بالمطرو الناس مراضه

أتابى ـ حفا . ألفى ـ غرام . مراضه ـ مرضى

حسيسك فى الضمير قاطع الكباده

تقتلى الزوال سريع قبل الشهاده

ثم أسلم الروح بين يدى فاتنة وقاتلة ! فأخذت تندبه وتحثو التراب على رأسها حزنا عليه وبكته ماشاء الله أن تبكى ولكن بعد فوات الوقت، وهكذا قضى الزوج المحب بعد أن سجل بأساته صفحة خالدة فى كتاب الحب الطاهر فوق القلوب .

بقيت تاجوج بعد زمنا حتى أغار العرب على بلادهم وهزموا فى عقر دارهم هزيمة منكرة فكانت تاجوج ضمن الغنائم ولكنهم اختلفوا على من تكون من نصيبه واحتدم الشر فقام أحد الزعماء ليلا الى خبائها وسدد اليها رمحه فماتت لوقتها وبهذا انحسم النزاع ودفنت فى قبر بلدة على ضفاف النيل الازرق يزوره الهائمين العاشقين

الفصل الخامس
الجسر المظلم

مضت فترة قصيرة تطرق خلالها الى ذهن الاب بعد أن أحس بالوحشة فى الحياة أن يستبدل تلك الأجيرة المخلصه التى غادرت وطنها من أجل تبنيها لهؤلاء الصغار بزوجة صالحة ترعاهم

ومن أين له أن يختار تلك الزوجة في وقت تظهر فيه المرأة الدنيئة كمالا وأدبا ورفعة وشمخة وكبرياء كاذبا .

وأخيرا تم الامر بزواجه من احدى اليوتات التي تدعى الفضل وهو بريء منها . . .

انقضت ايام الزفاف ولم يفارق فؤاد واخوته تلك المربية التي بعثها الله لتخفف ما ألم بهم بعد فقدهم أشفق الناس عليهم .

لكنهم اصبحوا بجوارها على مرأى من امرأة تظهر انواع الخداع والشفقة الكاذبة في أول أيامها . . .

عملت ما في وسعها لتشتت هذا الجمع الصغير فتحينت الفرص لتتخلص من تلك الأجيرة التي تعني بهؤلاء الأطفال وتقف حائلا دونها منهم ، ذلك لتكون مطلقة التصرف صاحبة الامر والنهي .

فمي يوم من الايام التي اندثرت فيه البقية الباقية من سعادتهم وتلبد لهم الجو بالغمام وغربت فيه شمس الهناء وحجبت أشعة الرحمة وكأن العالم أظلم في وجه هؤلاء الفتية .

أي نعيم ؟ بعد أن طلبت مربيتهم الكريمة العودة لوطنها بعد أن قامت بواجبها بما يرضي الله ورأت من ستحل محلها وحسبتها تقوم بنفس مهمتها مخلصة لله . . .

فغادرت الديار المصرية قاصدة مواطنها الجنوبية . ؟

عندئذ بلغ فؤاد من العمر نيفا وتسع سنين ولم يطرق باب التعليم بعد فصار يتنقل بين المكاتب الأولية حتى الملتقه والدها احدى المدارس الابتدائية فى الحادى عشر من عمره فلزمها عامين الى أن ذاع بالصحف اليومية خبر انتقال والده الى السودان ضمن احدى فرق الجيش المصرى ... فقصدوا تلك البلاد التى وارت بين طياتها نفس طاهرة زكية أصبح صغارها مع أم مزينة تنصب عليها اللعنات لسوء نياتها ولمثيلاتها من زوجات الآباء الناقصات عقلا ودين ..

الفصل السادس

العودة الى السودان

حزموا امتعتهم وشدوا رحالهم وفارقوا الوطن المحبوب بعد أيام معدودات وصلوا الى تلك البلاد التى طالما أشرقت فيها آمالهم وتوارت تحت تراثها الشفقة والرحمة اللتان كانتا ترفرف بجناحيها عليهم ...

بلاد السودان قطر به من خيرات الله اشهاها ورخاء العيش أحلاها وأتساع الرزق أحسنها ولكن كتب عليهم الا الشقاء وتعاسة الحال ...

حلوا بمدينة الخرطوم تلك المدينة الواسعة التي تشمل ملتقى النيل الابيض بالازرق ومخرج النيل منها الى مصر القطر الشقيق فتجدها مقسمة الى جملة ضواحي تفصلها هذه الفروع عن مركزها الاصلي مثل أم درمان والخرطوم بحري والقبلي ومكواروخلافهما

بدأت مكائد الام المزيفة تظهر شيئا فشيئا ولاحت على وجهها الدميم مسحة غبراء لسوء ضميرها شأن غالب زوجات الآباء الناقصات عقلا وأدبا فنسبت الى الصغار سوء الفعال . . . وانعواج الأخلاق فوشت بهم عند أباهم بالتهم الباطله المختلفة والله بالقول عليم . . . فكان يتناسى البعض ويدقق في البعض الآخر خوفا على حياتهم الخلقية ولكن كثيرا ما تقلبوا على ذلك الجمر المتوهج دون ان يشعر . . .

ظل فؤاد يرنو لكل ذلك بعين تفيض حسرة وعبرة متجرعا كأس الهوان على مهل دون أن يتألم تاركا أمره لمولاه الذي أوجده

عاد فواصل التعليم بهذا القطر في مدارس الارساليات حينا وبكلية غردون طورا آخر مع العلم ان التعليم بالأولى نجاريا وفي الثانية على نظام مي، بالرغم من احتوائها على قسمي التعليم الابتدائي والثانوي واقسام أخرى لمختلف الصناعات وجميعها مخالفة للمناهج المصرية . . .

ظهرت أخيرا بعض اضطرابات لبعض الفتن والدسائس السياسية أدت الى سحب المصريين من السودان وفرق الجيش المصرى وقد تم العود بسلام قبل حدوث أي حادث .

وقبل رجوعهم نهائيا اذ ما كادوا يستقر بهم المقام فى مصر حتى وافتهم الأخبار عن اشتعال الفتنه وما لاقوه المصريون من عذاب اليم حتى ضاقت بهم المركبات الحديدية عند عودتهم ولم يجدوا طعاما يتبلغون به مدة السفر وبعضهم صرعته بعض الطلقات الناريه التى اطلقت ابان الثورة

ترنح فؤاد وود لو كانت القاضية حتى لا يواجه ما يلى من مصائب الدهر اذ لا أمل فى أن تبعث سعادتهم من القبر مرة اخرى

يا غافلا وله فى الدهر موعظة

ان كنت فى سنة فالدهر يقظا

فهي ارادة علية لينال كل امرىء ما قدر له .

الفصل السابع

فى مصر المباركة

رجعوا إلى مصر للمرة الأخيرة واحلوا دارهم القديمة منذ عهد الفقيدة فواصل فؤاد تعليمه فى مدرسته الاولى والفرقه عينها

التى درسها منذ سنين فذهبت هذه السنين الماضية هباء منثورا . . .

تفرغ كل فى سبيل جهاده وأى سبيل يروق للمجد فى عمله ؟

وأى طريق يسلكه الناشىء بين هذه الأجواء المظلمة والسحب المتلبدة وحياة ملئت بأشهى انواع الكدر وغضاضة العيش وسوء المعاملة ؟

فكيف إذن يتفرغ الانسان لعمله فى مثل هذه الأحوال ؟ ؟

قضى فؤاد عامين يقاوم كل ذلك حتى يتفرغ الى تعليمه حتى اتم الدراسه الابتدائية وانتقل إلى التعليم الثانوى . .

زاد تلبد الجو بالسحب الكثيفه التى امطرتهم شهبا كاوية اذ لاحت نوايا تلك الأم المزيفة التى تسير منقادة لمن يحطن بها من قريباتها ذوات الاخلاق الدنيئة والسجايا السافلة فاظهرته عيانا بيانا بعد أن كان مستورا فجعلتها تفسد على فسادها وتطغى على طغيانها فاهملت حقوق زوجها جهلا منها ورضاء لذويها فكان ذلك وقما محسوسا شعر به والد فؤاد فحاول أن يرجعها عن غيها باللين والمسالمة ، فكان النصح يزيدها طغيانا وكبرا وعتتا حتى كثرت المناوشات والتهديدات

كانت عاقبة ذلك الذي كان يزداد ارهاقا على مر الأيام أن وقع الطلاق ! ؟

أى حلت التفرق بين زوجين تعاشرا سنينا طوال تبلغ عشر

قرن فبئست تلك الظروف وتلك الأخلاق الذميمة التي تلازم ناقصات العقل المفتتنات بالحياة الدنيا فيعود وبالا عليها . . .

هي سنة الله في خلقه ولن تجد لسنه الله تبديلا ، من جراء تلك الحوادث المتتابعة تعرقل طريق فؤاد المدرسي واصابه الفشل مرات وامل كل شيء في الوجود وسئم الحياة وود لو لاقته منيته ليستريح من همومه :

الا موت يباع فاشتريه
فهذا العيش مالا خير فيه
الا موت لذيذ الطعم يأتي
يخلصني من الحال الكريه
اذا ابصرت قبرا من بعيد
وددت لو انني ممن يليه

قضي الأمر وتم ماتم ولكن أسافل القوم لا ترضخ فلعبت دورها الجديد أمام المحاكم الشرعية لتطالب بمالها من حقوق بمساعدة قريباتها اللائي يعضدنها على فعل السوء ولكن ماينفذ الا ماأراد الله.

الفصل الثامن
بين الوهم والحقيقة

إبان ذلك الظلام الدامس وتلك المناوشات الدائمة وفي حال الأسى شبت إحدى شقيقات فؤاد فكانت تناشدها الخطوبات . .

ألم يكن هذا من سوء الحظ ؟

فمثل هذه الفتاة التي لم تترعرع الا في حياة كلها كدر أولى لها أن تشب في حياة هادئة بين أبوين مخلصين لا تشوب بينهما شائبه فيحسن اختيار زوج لها يوافقها في عوائدها حتى تكون حياتها المقبلة سعيدة . . .

كيف لا ؟ وان الفتاة تولد وتربى وترتشف ما استطاعت من مناهل العلم المذب والتدبيرات المنزلية وهذا كله أساس لحياتها الزوجيه التي هي فرض عليها ففتيات اليوم هن امهات المستقبل ولا يخفى ما لخطورة موقف المرأة في الهيئة الاجتماعيه ، فالمرأة هي ملك السعادة الذي يهبط على الزوج الحزين البائس فيفرج عنه كربه وهمه وهي التي تبعث في نفسه روح الاقدام والجد في السعي فتكسب الأمة من ثمرة سعيه . . .

المرأة هي التي تقوم بتربية اطفالها ومراعاة صحتهم وتكون

منهم شباب ناهض ملؤه قوة وحماس لخدمة الوطن العزيز وهي السواعد الأولى وعماد الأسرة يرجع اليها زوجها وبنيها في شتى الأمور فتدلى لهم بآرائها الصائبة السديدة وهي في نفس الوقت طبيب أولادها وممرضة زوجها اذا اعتلت صحتهم . . .

المرأة هي ذلك المخلوق الذي ملىء حياتنا ورقة في شعورها.

المرأة هي المصباح الذي يضيء الحياة بنوره !

فوجب اذن العناية بها وتربيتها تربية تؤهلها لحمل مهمتها الشاقة التي خلقت من أجلها . .

قضت الأحوال بأن زفت أخت فؤاد المسكينة لشاب مصري يحصل على قوته من احدى المهن الصناعيه وبذلك انتقلت الى حياتها الجديدة . .

كان هذا الشاب وديع الاخلاق أحيانا متفرغا للكد وراء رزقه ، فقابلت ذلك بهمة لاتعرف الملل وسارت على غرار من عاشرتهم ، كان هذا الزواج غرضا من أغراض الأم المزيفه التي سعت اليها لتتخلص من إحدى شقيقات فؤاد بعد أن شبت وترعرع عضمها فعجلت ذلك القران ، لكن الله لا يغفل عن القوم الظالمين فما لبثت بعد ذلك حولا كاملا حتى كانت خارج المنزل .

الفصل التاسع

صدمة جديدة

قلت الاضطرابات وسكن الجو وخمدت شعلة تلك المناوشات بوقوع طلاق صاحبة تلك الأكدار ومثيرة تلك الهموم فأضاء الجو ولاح شعاع من الهدوء وكاد العيش يصفو وتقدم فؤاد بضع خطوات فى امتحاناته المدرسية . .

كانت هناك صلة تودد بين والد فؤاد واحد الأسرات التى لها بعض صلات قرابه بأسرتهم ولم تكن من الاسرات ذوات الجاه والثراء ولا الفقيرة المعدمة وما الفقر بعيب يشين المرء أو عاهة تخجله إنما هو شرف لمن كان غنيا عن غيره . :

طلب والده يد شابة من بين هذه الأسرة وتم الزواج بعد رفض وقبول وألفى فؤاد واخوته مع زوجة لأبيهم ثانية

فانتظر نفاذ القدر المحتوم ومرت أيام العرس وهى قليلة وعادت الأيام المعهودة !

هى الدنيا تقول بملء فيها

حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا تفرنكم منى البسامة

فقولى مضحك والفعل مبكى

تبا لك أيها الزمان المتقلب الذى حرمت هؤلاء المناحكين هناءهم وسلبت سعادتهم وألمهم مالا تشهيه نفس وغمرتهم بمالا يتحمله إنسان بغير ماذنب اقترفوه . . .

زهد الحياة التى لاخير فيها والتى يرثى اليها دون الناشئين أمثاله فضاقت به الأرض بما رحبت اذ كان مثله كمثل غريق كافح الامواج المتلاطمة حتى انهكت قواه وكل ساعداه وكاد يقضى عليه تحت الأمواج حتى قدر له الخلاص فانقذ وخرج الى الشاطىء فما كاد يستنشق هواء الصفاء ونسيم النجاة وينال قسطا من الراحة حتى حملته الريح الهوجاء والقته فى اليم ثانيا فعاد الى سيرته الاولى .

هل يصادف الانسان فى الحياة سعادة ؟

وأنى له أن يجدها بعد أن احتجبت عنا ولم يبق الا اسمها وهى لاترق لحاله أو ترحم فؤاده الذى مزقته الحوادث سحقته الكارثات . .

قد صحت عزيمته وأوشك أن يحصل عليها ويأتنس بها فلا يكدر صفو عيشه مكدر وحسب الدهر قد انصرف عنه حتى يتمتع بها ، ولكن . خاب ظنه وطاش سهمه اذ علم أنه خيال خاطىء وسراب خادع أوجدته آماله وصورته أحلامه .

رآها في عالم الخيال جميلة حسناء فهام بها هيام المجنون بليلاه ولكنها نأت عنه وبخلت بلقائه وهي لاتدري مبلغ محبته ونبل مقاصده وان لا حياة في هذه الدار الا إذا استظل بظلها الوارف واطفأ ظمأه بماءها السلسبيل مابقي من حياته . .

شتان بين السعادة والثروة فالاولى مترفعة فوق عرشها الأسمى والثانية جاثية عند قدميها ، فترى كثيرا من الأغنياء يئن أنينا مبرحا ويتألم ألما موجعا وهذا دليلا على شقاءه فشاطرنا الآلام . .

يظن البعض ان السعادة في الانغماس في الملاذ وعقر كؤوس الراح ومغازلة الغيد الحسان ممن بمن الغناف بأبخس الأثمان وجعلن الفضيلة تنتحر من أفعالهن .

الا إن الخمر مصيبة لاتعدلها مصيبة وأن الزنا فاحشة من اكبر الفواحش وهل يعد سعيد من يمضي أوقاته في أمر لافائدة منه بل يجر عليه الويلات والأضرار وتقذف به الى الهاوية ولا يخفى غضب مولاه الذي أوجده ليعبده باخلاص ويشكره على نعمه التي اسبغها عليه .

فان كانت السعادة في هذا فقد رضيت أن اتبرأ منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب والشقاء والحالة هذه أولى وأجمل .

وكيف يرضى بالجنون من وهبه الله عقلا سليما ولباذ كيا وجنانا ثابتا؟

لو تتبعت السعادة التي ينشدها الانسان لوجدتها تختلف بحسب مطالب الناس فالبخيل مثلا يراها في وضع قطع الذهب الوهاج في أضيق الحبس ، وفي نظر الزارع أن يحصل على نبات طيب ، وفي نظر التاجر أن لا يعود بصفقة المغبون ، وفي نظر الجاهل أن يجد ماتشتهيه نفسه مما لذ وطاب من مختلف الطعام ، والسعادة في نظري أن أري محبة الناس سائدة وقلوبهم متضامنة لخدمة الوطن وتدفعهم نفوسهم الطيبة إلى صلة الرحم واعانة المعوزين مع المحافظة على شعائر دينهم الحنيف وأن يعتمد كل فرد على نفسه ، فطوبى لمن كان كذلك وحسن مآب .

الفصل السادس

عشرون يوما بالاسكندرية

جلست أراقب غروب الشمس وأنا أنصت لصوت الموسيقى العذب فانثالت على أمواج العواطف المنسية وأثارت المحيط الذى لايتصور ولا يجد ذلك المحيط الهادىء المسمى ذكرى الماضى . . .

فاستيقظت الذكريات المؤلمة من نومها المضطرب !

جلست أنصت للموسيقى المائية وهى آتية ذاهبة مع موجات البحر الأبيض الذى استقر بى المقام على شاطئه فتذكرت فؤاد

المسكين صديقي فؤاد أحب الناس لي وأعزهم لدي وأقربهم الى نفسي . . .

كان أول عهدي بالاسكندرية فاردت أن أرسل اليه بمذكرات رحلتي الى هذا القطر المصري العظيم حتى تكون له سلوى يقضي بها على بعض هواجسه فأرسلت اليه . . .

يوم الجمعة ٢٠ يونية

حزمت ملابسي وغادرت مدينة القاهرة بعد الظهر بالقطار السريع الذي سار بنا كوميض البرق ولزم بصري نافذة العربه الصغيرة الى مانسقته يد الفلاح المصري من مزارع القطن وحدائق شجر الليمون الخضراء الناضرة الى ان اجتاز بنا فرعي النيل وترعه بوساطة قناطر رائعة فتملكني السرور وزالت عني اتراحي حتى انتصر الكري على أجفاني فاستسلمت إلى النعاس الى أن استيقظت على أثر الضجه بمحطة طنطا الهائلة ثم واصل القطار المسير حتى وصل الى محطة سيدى جابر في الساعة الرابعة مساء فنزلت واستقر بي المقام برمل الاسكندرية .

يوم السبت ٢١ يونية

تناولت قلمي صباحا وحررت جملة خطابات تنبيء عن وصولي بسلامة الله ثم وضعتها في أقرب صندوق بريد مارا بشوارع ذلك

الحى الهادىء الجميل .

قضيت معظم ذلك اليوم فى المنزل استعيد نشاطى وخرجت الساعة الخامسة انتقل من طريق الى آخر حتى وجدتنى على شاطىء رملى اصطفت عليه الاكواخ المنسقة وانتشر المصطافون أمامها فى لباس البحر المختلفه الالوان رجالا ونساء وأطفالا وأمامى لجة الماء الزرقاء المتلاطمة التى يشق على الناظر الوصول الى نهايتها ، تأملت ذلك المنظر الجذاب الذى لم أره عينى من قبل ، ثم سرت مع زميلى ذهابا وجيئة على الشاطىء وأنا أتمتع بهذه المناظر الخلابة ردحا من الزمن حتى مالت الشمس ثم اختفت وراء مياه البحر فرجعنا الى المنزل .

يوم الاحد ٢٢ يونية

فى صباح اليوم قصدت النزهه فركبت مركبة الكهرباء التى تمتاز عن مركبات القاهرة بما تتوفر فيها من أسباب الراحة والأناقة فانتهت بنا الى محطة كازينو سان استفانو فسرت مع زميلى على شاطىء البحر حيث صورنا أحد المصورين هناك : وفى الساعة الخامسة بعد الظهر ركبنا ترام البلد قاصدين ثغر الاسكندرية ذاته فلما وصلنا سرنا متجولين على الاقدام فى شوارعه الكبيرة التى عنى المجلس البلدى بنظافتها ورصفها مارين بالمحال التجارية العظيمة

ولكن لسوء الحظ كان معظمها مغلقة لانه كان يوم أحد وما زلنا سائرين حتى الفينا أنفسنا أمام منتزه بديع منسق تنسيقا هندسيا جميل وانتشرت به المقاعد واكتظ بالأهالى والأجانب كل يقصد الرياضة والترويح عن النفس فمضينا فيه بعض ـ ويعاتنا ثم قفلنا راجعين .

يوم الاثنين ٢٣ يونية

عزمت على الاستحمام فسرنا الى الشاطىء ومعنا لوازم الاستحمام فما كدنا نصل حتى لمحت عن بعد خرقة سوداء نشرت فى الفضاء تنذر بخطورة الاستحمام اليوم لهياج البحر وعصف الرياح التى خيل لنا أنها نسيما عليلا يهب على الشاطىء فاستلقينا على الرمال اللؤلؤيه موجها نظرى إلى البحر وهو يرغى ويزبد وعن بعد أرى سفينة تتداعب بها الامواج كأنها ريشة فى مهب الرياح ، بعد الظهر اصطحبت زميلى وتوجهت الى البلد فشاهدت أثناء مرورنا مخازن النرام الهائلة وحدائق رائعة وكليات كبيرة مثل كلية سنت مارك و « والليسيه فرانسيه » سرنا راجلين الى أن وصلنا الى ميدان فسيح تصدره بناء شامخ عظيم هو البورصة التجارية ورأس البلاء على الفلاحين المصريين وفى وسطه تمثال هائل لمؤسس الأسرة المالكة مرتديا ملابسه الحربية الفضفاضة وهو ممتطى صهوة جواده.

وقفنا بناديه برهة تطرق فيها الى ذهني تاريخ ذلك العامل العظيم ومن بخيلتي عصره الذهبي المجيد الذي أنشأه من لاشيء فدار بي الخيال وتمنيت لو تقمز بجوادي خارج تلك الحديقة الصغيرة وقاد الشعب المصري الذي يئن من عائله الاجانب المستبدين فيصدهم ويضرب على أيدي المستعمرين اللذين يتمتعون بخيرات البلاد وملاذها والمصري محروم لاينال من خير بلاده الا الكفاف ، ثم تنبهت فجأة بصوت زميلي فاذا بي كنت أناجي تمثال أحد عظمائنا الأمجاد .

واصلنا المسير حتى وصلنا الى حي تجاري عظيم تمددت فيه أنواع السلع والمتاجر واكتظت الطرقات بالمارة والمشترين ثم تعرفنا بأحد اقاربنا يشتغل هناك فبقينا معه حتى انتهى من عمله واجتاز معنا شوارع البلد المتلألئة بالأنوار الكهربائية الزاهية حتى أصبحنا نسير على رصيف يشرف على البحر الذي تقمص بحلة سوداء لانور فوقه سوى الكواكب الضئيلة في أعلى عليين وبعض مصابيح صغيرة تحملها قوارب الصيد في عرضه وزد على ذلك العقد الجميل من المصابيح الكهربائية التي تحف بالشاطىء ، أقبلت الساعة العاشرة مساء فتواعدنا ثم عدنا حيث نمت نوما هادئا الى باكورة اليوم المقبل .

الفصل الحادى عشر

تحت سماء الاسكندرية

يوم الثلاثاء ٢٤ يونية

كنا على موعد اليوم مع صديقنا فقصدناه ، لكنا أردنا التجوال فى المدينة فسرنا حتى أصبحنا أمام دار المجلس البلدى وبعد قليل أوشكنا ان نضل السبيل إذ وجدنا أنفسنا فى ميدان أشيد به بناء رائع ضخم أعد للرياضة البدنية ونقش على مدخله « ملعب الرياضة البدنية » والى يمينها ويسارها تمثالين بارزين تتجسم فيهما الروح اليونانية الرياضية احدهما لقاذف القرص والآخر لرامى الحراب وكلاهما عارى الجسد تظهر أعضائه المناسبة وعضلاته المفتولة ، عرجنا الى طريق آخر من خلف هذا الملعب فمررنا بحدائق غناء انتشرت بها الاشجار وفرش ادیمها بالمروج الخضراء وبها منحدرات ومساقط عدة وعندما تروى تنساب عليها المياه فتنساب كالشلال ولذا تعرف بمنتزه الشلالات ، واصلنا المسير بين تلك المتنزهات التى اقيم فى بعضها تذكارات مختلفه منها تذكار فتح السودان ولفت نظرى تمثال لرجل متربع فوق كرسى القضاء ومرتديا لباس القضاء الباهر وترتسم على محياه وداعة القضاء ذلك هو تمثال نوبار باشا

عند ذلك اهتدينا الى الترام فأقلنا الى صديقنا حيث قضينا بقية يومنا واذا بضوء الشمس المتأصل ينعكس على مياه البحر الزرقاء فعدنا فوجدنا زميلي بعض رسالات تخصه ولم أسقط بواحدة ردا لمن ارسلت اليهم فتأثرت لذلك وصرت اعلل الأسباب فاشتد ارقي ولم يطرق الكرى اجفاني تلك الليل سوى ساعات قليلة .

يوم الاربعاء ٢٥ يونيه

قد زال سروري وشوقي بهذا البلد الجميل ومر بمخيلتي صورا مختلفة للماضي الأليم كل ذلك ووجهي ملقي بين يدي فاقترح علي زميلي أن نذهب الى البحر لنستحم ليزول مابي من كدر وترح فسرنا الى حيث لا أدري حتى وصلنا الشاطىء فكانت الأمواج في هياج عظيم والهواء يعصف بشدة والسماء ملبدة بالسحب كأن الطبيعه شاركتني في الغضب ، احسست ببرودة عند نزولي الى الماء فارتديت ملابسي وعدنا وأنا احمل رأسا ثقيلا وجسما متعبا مضطربا فاستلقيت على الفراش فكان هذا اسوأ أيامي بالاسكندرية ، وصرت اترقب وصول اى رسالة تخفف عني ألمي حتى مضى اليوم لم أر أو أسمع من خبر فانقلب مابي الى مرض وارتفعت حرارة جسمي وبقيت هكذا حتى الغد .

يوم الخميس ٢٦ يونيه

في صباح هذا اليوم حتم علي صديقي الخروج فقصدنا ساحل البحر هربا من الحر وتخفيفا للآلام فقضينا حتى الظهر هنالك وعند عودتنا وجدت رسالات انشرح لها صدري وتقبلت سلامها من لأمة وانا صاغر وجهها الى والدتي وسررت من وفاء اصدقائي ثم قمت في الحال رددت عليها جميعا شاكرا موقفهم ومعترفا بفضل الأبوية الكريمة .

يوم الجمعة ٢٧ يونيه

لم أخرج الا لتأدية فريضة الجمعة وبعدها سرعان مافرج الاله كربتي فبدأت نفسي تنتعش فقصدنا صديقنا وسرنا مخترقين الجهة الشرقية للبلد مارين بالقصور الشاهقة التي تطل على البحر ومن بينها المحكمة الاهلية ومستشفى للأمراض النسائية تعرف بمستوصف الملكة نازلي وبعد قليل صرنا امام الميناء الشرقية حيث رسى رهط من المراكب الشراعية المشحونة فواكه جلبتها من سوريا وكان على مرأى منا « طابية قايتباى » القديمة التي تستعمل في وسائل سلمية بعد ان كانت قاعدة حربية تحمي تلك الميناء ، بعدها بناء كبير اعد ليكون سوقا للسمك حيث شاهدنا نوعا غريبا يعرف بالترسة وهو من فصيلة السلحفاة تخالفهما في تحور ارجلها الى زعانف وطريقة صيدها ان يخرج الصيادون في قواربهم الخفيفة الى عرض البحر

فاذا لمحوها غاص الصياد من خلفها بدون ان يشعرها ويفاجئها بأن يقلبها على ظهرها عبارة فلا تستطيع الدفاع فيرفعها الى القارب وتظل على ظهرها الى أن تذبح .

خرجنا فلفت نظرنا مصنع صغير على الساحل لصنع المراكب الشراعية .

يوم السبت ٢٨ يونيه

تركت فراشى وفى من النشاط مالم أره من قبل فتوجهنا الى الساحل وقضينا زمنا طويلا بجوار كازينو سان استفانو وبعد الظهر مضيناه مع صديقنا بالبلد حيث توجهنا مساء الى احد دور الخيالة (السينما) فشهدنا قصتين جميلتين الاولى فكهيه والثانيه كانت مثل من امثال الحياة وعظة من عظاتها المؤلمة وكان يلازم التمثيل وقع انغام الموسيقى البديع .

يوم الاحد ٢٩ يونيه

مضينا جزء كبيرا من اليوم بالبلد وبعدئذ قصدنا الجمرك فتفقدناه وشهدنا السفن التجاريه الهائلة راسية والقوارب الصغيرة تنتشر فى انحاء الميناء . وبعد ان انتهت جولتنا اقلنا الترام الى خارج المدينة بجهة المكس حيث الهواء فى نقاء والجو فى صفاء والناس مرحين فى هناء وفى طريقنا مررنا بمعامل دبغ الجلود ، بقينا هنالك حتى

فوق الرمال الساحلية

غابت الشمس وآوت الى خدرها .

يوم الاثنين ٣٠ يونيه

قضينا هذا اليوم بجانب البحر وفى المساء توجهنا الى دار تمثيل شاهدنا رواية هزلية اغرقتنا فى الضحك واخرى اجتماعية مؤثرة ظهر فيها كيد النساء شيطانات هذا العالم فكانت آية من آيات الفن والتمثيل .

يوم الثلاثاء والاربعاء ١ ، ٢ يوليه

قضيناهما برمل الاسكندرية مابين الحمامات والاستراحة بالمنزل

يوم الخميس ٣ يوليه

حوالى الساعة الخامسة توجهت الى البلد فرافقت صديقى الى احدى الخيالات الانيقة حيث شاهدنا رواية بوليسية حدثت فى بلاد المكسيك واخرى مصرية حدثت فى انحاء القرى المصرية وما اليك من مناظرها الخلابة التى يعجز عن وصفها القلم وزد على ذلك الموسيقى العربية التى شنفت آذاننا الى قرب انتصاف الليل .

يوم الجمعة ٤ يوليه

بقيت مع صديقى حتى الظهر فأدينا فريضة الجمعة فى مسجد سيدى البوصيرى .

وفى الساعة الرابعة مضى بى ترام النزهة حيث قصدت التريض

فسرت راجلا بجانب الترعة المحمودية حتى وصلت الى حديقة النزهة فاذا بها حديقة فيحاء واسعة الارجاء اصطفت بها المقاعد وغرست بها الاشجار الباسقة والازهار المتباينة الألوان ذات الارج الفياح وقد خيم عليها الهدوء والاطفال تمرح وتلعب حوالى أمهاتهم والرجال والشبان كل يقصد الترويح عن نفسه .

يوم السبت ٥ يونيه

فضيت سحابة نهار اليوم بجانب أحد أفراد الأسرة وقد أعياه المرض فلم نستطع الترحال وفى المساء توجهنا إلى أحد الملاهى حيث تمتعنا برائق التمثيل ورائع الموسيقى .

يوم الأحد ٦ يونيه

استبدلنا موضع الاستحمام بآخر أحسن نظاما وأجمل تنسيقا وحيث تفننت الطبيعة فى وضعه فكان آية من آيات البهاء والرونق فمر بنا الوقت ولم نشعر به ، وفى الساعه الرابعة بعد الظهر اجتمعنا فى مقهى يشرف على البحر فشرب كل منا ما اشتهت نفسه ثم رجعنا

يوم الاثنين ٧ يونيه

أردت أن أخرج الى الهواء التمس ضواحى البلد ففى صباح اليوم اقلنا القطار الى محطة المنتزه حيث قصر المنتزه مصيف الاسرة الملكية الكريمة . غادرناها إلى ضاحية ابى قير فى نهاية الخط الحديدى

فسرنا فى شوارعها البسيطة المتموجة الرمليه ومنازلها الصغيرة وفنادقها القليله حتى ادركنا الساحل حيث رست قوارب الصيد التى لا يحصيها عد والى جانبها طوابى قديمة مهملة ذات مجد غابر زمن عرابى باشا فاليوم هاهى مسلوبة العظمة السالفة . سرنا بين النخيل المنتشر على ارضها الرملية حتى تركنا هذه الضاحية فى هدوئها الى معسكر ابى قير وبه محط للطيران واسع الأرجاء مترامى الأطراف تحتشد الطائرات فوق أديمه وبجواره ثكنات هائلة أقيم من حولها حواجز من الأسلاك الشائكة ومما آلمنى وأسفت له أن هذا المحط الهائل الذى يقع فوق الاراضى المصرية المقدسة ملكا للغير بل هو يمثل قاعدة من قواعد النفوذ الاجنبى . . .

عدنا الى محطة فكتوريا وهى ضاحيه جميلة وهنا لم يقو زميلى على مواصله السير فافترقنا إمام كلية فكتوريا التى اشيدت على أحد التلال وتنحدر حديقتها من حولها فركب الترام وواصلت السير حتى مسجد سيدى بشر على بعد استغرق بعض ساعة وبعد نزهة قصيرة عدت أدراجى الى المنزل ولم تفارق مخيلتى المناظر البديعة التى شاهدتها فى هذه الرحلة :

يوم الثلاثاء ٨ يوليه

خرجت اليوم لأتفقد مالم تره عينى فى هذا البلد الجميل فربنا

التزام الدائرى بقبر نبى الله دانيال وكان هذا المدفن فى احد المساجد فى كهف تحت الارض قيل ان الاسكندر الاعظم المقدونى مدفون فيه وهم مجدون لاثبات ذلك . قصدنا بعده الى حى كرموز وماكدنا نصله حتى رأينا عن كثب عامود السوارى وقد اشيد على أحد التلال وامامه بعض التماثيل المصرية القديمه من فصيلة ابى الهول وبعد تفقدنا هـذا الحى الغاص بالأهالى عدنا مارين بمسجد سيدى ابى الدرداء وقضينا ليلتنا مع صديقنا .

يوم الاربعاء ٩ يوليه

عدت إلى الرمل قاصدا حمام استانلى باى وكان دائما يطيب لى الاستحمام به لحسن موقعه فقضينا به يومنا وعدنا فوجدت رسالة من والدى يستدعينى فحررت اليه موعد السفر وانتهى اليوم وأنا آسف على فراق هذا الشهر الجميل .

يوم الخميس ١٠ يوليه

توجهت الى البلد حيث اخبرت صديقنا بسفرنا فأبدى شديد أسفه ثم اشترينا بعض حاجيات وعدنا بعد الظهر الى الحمام فقضينا به بقية اليوم نرتع ونمرح حتى غربت الشمس .

يوم الجمعه ١٢ يوليه

ودعت اقاربى واصدقائى وبعد تأدية فريضة الجمعة اقلتنا عربة

الى محطة الاسكندرية حيث انزلنا منها القطار السريع عائدين الى القاهره مقر الاسرة وبذلك انتهت رحلة شيقة لا أنساها ولا تبرح مخيلتي قد رأيت فيها بصيصا من الهناء .

الفصل الثاني عشر

البقاء لله

قاوم فؤاد كثيرا وصبر على بلوى الدهر ببأس شديد وقد دخل فى دور الرجوله لكن ابى ذلك الدهر الخسائن أن يفسح له الطريق وان يمده بشعاع من النور يهتدى به فى الحياة ويعينه على عوائقها ولكن امثال فؤاد لا يهتم لذلك اذ كان دائما يحدق الى هذه الدار الفانية بعين الاستهتار فلا قيمة لها عنده لأنها حقيرة زائلة . . .

فأوشك سراج حياته أن ينطفىء فصارت تعاوده الامراض ويلازمه السقم وشحب لونه . . .

غربت الغزاله فى خدرها وخيم الظلام وصارت السماء كأنها روضه مزدهرة بالكواكب تتلألأ فى انحائها وقد لجأت الاطيار الى اوكارها وسكنت حركة المسير فى الطرقات وأخيرا ساد الصمت وانتشر السكون فأمسى كل شىء ساكن الا فؤاد يتقلب فى فراشه

هاكيا آلامه ولا مستغفرا أياه تحيطه ملائكة الرحمة تواسيه وتهون عليه ما حل به فظل فى هواجسه الى ان شق صوت المؤذن الفضاء فى ساعة الفجر . . .

«الله اكبر . . . الله اكبر . . .»

«الله اكبر . . . الله اكبر . . .»

هو صوت المؤذن يدعو عباد الله الى عبادة الله فيلبيه من فاضت قلوبهم إيمانا ويأبى الضالون الا أن يضعوا اصابعهم فى آذانهم صمما فى الضلال !

اخذ النهار فى الافصاح يوضح نور الصباح . . .

هاكم النيل يوقع نشيده المعتاد أن هبوا بنى مصر واستقبلوا اليوم الجديد . .

كبار الامل . صادق العزيمة . .

والطل فى سلك الغصون كاللؤلؤ

رطب يصافحه النسيم فيسقط

والطير يقرأ والغدير صحيفة

والريح تكتب والغمام ينقط

قد كان ما خفت أن يكونا إنا الى الله راجعونا

رويدا . . . رويدا . . .

لقد فاضت روح فؤاد الطاهرة إلى خالقها في تلك البرهة الجليلة

ارتفعت روحه الى السماء لتمتزج بروح أمه الطاهرة . ؟

الى رحمة الله يافؤاد . .

لقد أراحك مولاك من هذا العالم الحقير فطلبك إلى جواره

تاركا جسمك النضر تحت الثرى واختلطت روحك الزكية مع

زميلاتها في سماء الطهر الربانى .

فهنيئا لك يافقيد الشباب .

النهاية

تمت إرادته سبحانه وتعالى وجاور فؤاد ربه الكريم وترك قلوبا

والهة كانت تعطف عليه بعد أن قطع شوطا طويلا فى العالم الدنوى

ثم انتقل الى دار الخلد والبقاء حيث تكون اما سعادة ونعيما ابديا أو

جحيما جهنميا كل بما قدمت يداه في الحياة الدنيا ! !

ان حوادث الدهر على اختلاف تقلباتها وتباين حركاتها أن

هى الا دروس اعتبار تكتب فى صحائف الأيام لتكون تذكرة لمن

شاء أن يتذكر . . .

obeikandl.com

ايدنا الله من عباده الصالحين ووقانا عذاب جهنم وصروف الحياة الدنيا انه غفور رحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم . . .

تمت بحمد الله

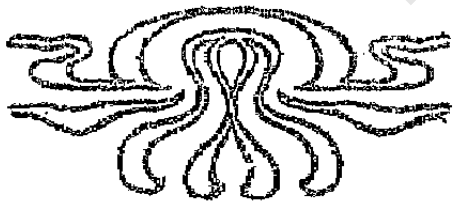

obeikandl.com